

مفتاح العلوم

مفتاح العلوم لكل التخصصات هو التقوى لقوله تعالى في سورة البقرة: {...} وَأَتَّقُوا اللَّهَ ^{صل} وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ^{قله} وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾.

من المعلوم أنّ الله تعالى هو الذي علم وألهم التسبيح والسجود لكلّ خلقه في السماوات والأرض.

وأنّه يُحيط أحداً أو شيئاً من خلقه بعلم إلا بما يشاء سبحانه لقوله تعالى في سورة البقرة: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا

فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ^{قله} مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ

إِلَّا بِإِذْنِهِ ^ج يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ^{صل} { كل خلقه

في السماوات والأرض} وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ
عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا
يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

أَمَّا ما أودعه الله تعالى من علم في خلقه في
السماوات والأرض فليس له حد لقوله تعالى في سورة
الكهف: { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ } أي السبع محيطات
مِدَادًا { أي حبراً يسطر به { لِكَلِمَتِ رَبِّي } التي أودعها
في خلقه في السماوات والأرض { لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ
تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } ﴿١٠٩﴾ .

بل حتى لو مدّ البحر سبعة أبحر لقوله تعالى في
سورة لقمان: { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ

وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ { لَا يَحَاطُ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
شَاءَ } { حَكِيمٌ } ﴿٢٧﴾ فِيمَا يَقْضِي وَيَمْضِي وَيَشْرَعُ.

فلا نهاية لما أودعه الله تعالى في خلقه في
السموات والأرض من علم.

وَأَنَّ مَا حَقَّقَتْهُ الْحَضَارَةُ الْيَوْمَ مِنْ عُلُومٍ قَلِيلٌ جَدًّا
لَمَا أودعه الله تعالى في خلقه من علم، والذي خفي
عنهم أعظم بكثير لقوله تعالى في سورة الإسراء: {
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا
أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ﴿٨٥﴾.

وما زالت الروح مبهمة عند خلقه، ولذلك تحدّى الله تعالى خلقه بإحياء الموتى، وسيظل الباحثون يكتشفون الجديد كل يوم لفهم هذه الحياة.

فالتقوى هي باب العلوم، فلم يتعلّم الرسل ولأنبياء في مدرسة، ولا جامعة، ولا عند عالم، ولا عند أحد من الناس، بل اختارهم الله تعالى لعلمه المسبق بحقيقة ما في قلوبهم، لما ورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلوات الله عليه وآله وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلوات الله عليه وآله وسلم فوجد

قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه
يقاتلون على دينه"، وبمعيار التقوى الذي في قلوبهم
اختارهم الله تعالى أنبياءه ورُسُلَه ليكونوا قادةً
لل البشرية.

ولقد أتى الله تعالى إبراهيم - عليه وعلى نبينا
الصلاة والسلام - الحُجج والبراهين وجعل في نسله
النبوة بسبب إحسانه كما قال تعالى في سورة
الأنعام: { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ
نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ } إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

بمن يستحق رفع الدرجة { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ } وَمِن

ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى
وَهَارُونَ **وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴿٨٤﴾ { في كل وقت
وحين } وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ **كُلٌّ مِّنَ
الصَّالِحِينَ** ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا **وَكُلًّا
فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَإِخْوَانِهِمْ **وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٨٧﴾.

ومكّن الله تعالى ليوسف- عليه وعلى نبينا
الصلاة والسلام- في الأرض وآتاه حكماً وعلماً
كما قال تعالى في سورة يوسف: { وَقَالَ الَّذِي
أَشْتَرَنَهُ مِنْ مِّصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ

يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ
عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُ وَءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ دَائِمًا وَأَبَدًا.

وبإحسان يوسف- عليه وعلى نبينا الصلاة
والسلام- جعله تعالى وزيراً على خزائن أرض
مصر كما قال تعالى في سورة يوسف: { وَقَالَ
الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ أَأَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ
إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى
خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا

لِيُوسِفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ^{٥٦} نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ^{٥٧} وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {٥٦} في
الدنيا والآخرة { وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ } {٥٧}.

وأتى الله تعالى موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة
والسلام - حكماً وعلماً بسبب إحسانه كما قال تعالى
في سورة القصص: { فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ } {٣} وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ **ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا**
وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {١٤} في كل زمان
ومكان.

بل وعَلَّمَ الله تعالى نبيّه نوح- عليه وعلى نبيّنا
الصلاة والسلام- الصَّنْعَةَ كما قال تعالى في سورة
المؤمنون: { فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنِعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحَيْنَا ... } ﴿٢٧﴾ وكانت صنعة مُتَقَنَّة لَتَحْمَلْ موج
كالجبال كما قال تعالى في سورة هود: { وَهِيَ تَجْرِي
بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ... } ﴿٤٢﴾.

وبالتقوى جعل الله تعالى النبي الأمي ﷺ سيد
المرسلين، وأمر الأنبياء والرسل بالإيمان به ونصره
كما قال تعالى في سورة آل عمران: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ
مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءِ

وَلَتَنْصُرُنَّهُ^ج قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ^ص إِصْرِي^ص
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِّنَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾.

وأمر الله تعالى موسى - عليه وعلى نبينا
الصلاة والسلام - باتباعه ﷺ كما قال له في سورة
الأعراف عندما دعا قائلًا: { وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ^ج } قَالَ عَذَابِي
أُصِيبُ بِهِ^ج مَنْ أَشَاءُ^ص وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ^ج
فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ
الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ
إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ **فَالَّذِينَ ءَامَنُوا**
بِهِ وَعَزَّزُوا وَنَصَرُوا وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾.

وكان ﷺ رسولا لجميع الناس لقوله تعالى في
سورة الأعراف: { قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } ثم قال: { ... **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ﴿١٥﴾.

ولذلك كان من سننه تعالى تأييد المتقين

وهدايتهم كما قال تعالى في سورة العنكبوت: {

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

الْمُحْسِنِينَ} ﴿٦٩﴾ ولقوله تعالى في سورة البقرة: {...

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} ﴿١٩٤﴾ ولقوله

تعالى في سورة البقرة أيضاً: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ﴿١٩٥﴾ ولقوله تعالى في سورة

الجاثية: {... وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} ﴿١٩﴾ لا يخذلهم أبداً.

فهو تعالى الذي يعلمهم ما يشاء كما قال تعالى

في سورة البقرة: {... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ﴿٢٨٢﴾ {... فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ}

والعلم من الرزق} **وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ^ط إِلَيْهِ**

تُرْجَعُونَ{١٧} كما قال تعالى في سورة العنكبوت.

هذا والله أعلم وصلي اللهم على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم، وجزاكم الله خيراً.

فؤاد محمود آل محمود